رأي القدس

الرأي العام العربي يتحرك

■ المظاهرات الصاخبة التي انطلقت الجمعة في اكثر من عاصمة عربية، في مصر والاردن والعراق وفلسطين دعما للمقاومة الاسلامية في لبنان وفلسطين، وتضامناً مع ضحايا العدوان الاسرائيلي عليهما، هي دليل واضح على تحرك الشارع العربي بفاعلية، وتحديه لادوات القمع الرسمية.

واذا تأملنا الشعارات التي ترددت في هذه المظاهرات، والصور واللافتات التي رفعها المتظاهرون، نجد ان هناك تغيرا كبيرا بدأت ملامحه تتطور في اوساط الرأي العام العربي، وهو تغير ليس في صالح الانظمة القائمة، بل هو معاد لها تماما.

فالمتظاهرون في مصر رفعوا صور الزعيم اللبناني حسن نصر الله قائد حزب الله، كما رفعوا صور الزعيم الراحل جمال عبد الناصر، وهذا التصرف ينطوي على دلالات سياسية كبيرة، لانه يعكس توحيدا لتيارين اساسيين على الساحة، وهما: التيار القومي الذي يمثله الرئيس عبد الناصر، والتيار الاسلامي الذي يعتبر السيد حسن نصر الله من ابرز صفوفه.

واللافت ان الغالبية الساحقة من المتظاهرين في العواصم العربية الذين رفعوا صور السيد نصر الله وهتفوا باسمه هم من السنة، وهذا يؤكد ان التقسيمات الطائفية التي حاول الاحتلال الامريكي تغذيتها انطلاقا من غزو العراق، قد ذابت امام وحدة جميع المسلمين بمختلف طوائفهم امام العدوان الاسرائيلي.

فاذا كان الاحتلال الامريكي للعراق ادى الى التفتيت الطائفي فيه، فان الحرب التي تشنها اسرائيل على لبنان حاليا اعادت اللحمة بين جميع المسلمين والعرب، وافسدت الكثير من الخطط الامريكية التي تراهن على اذكاء الحرب الاهلية الطائفية في العراق، وامتدادها الى المنطقة بأسرها، وجعل قضية العراق هي القضية العربية المركزية الاولى، واشغال العرب بها عن قضية فلسطين والمخططات الاسرائيلية الرامية الى ابتلاع ما تبقى من الارض، وطمس الملامح العربية والاسلامية لمدينة القدس المحتلة.

الانظمة العربية، خاصة تلك التي القت باللوم على حزب الله ونزعت عنه صفة المقاومة، وحملته مسؤولية الحرب الحالية في لبنان ونتائجها، احتلت النصيب الاكبر من هتافات الادانة التي اطلقها المتظاهرون وخطباء المساجد. فالهتافات بسقوط الرئيس حسني مبارك كانت الاعلى صوتاً، والادانة للنظام السعودي احتلت مكانة بارزة في معظم اللافتات التي حملها المتظاهرون.

الشيء الوحيد المؤسف هو «طائفية» المظاهرات التي انطلقت في العراق، فبينما كان المتظاهرون السنة في مصر والمغرب والاردن يحملون صور السيد نصر الله والاعلام الفلسطينية واللبنانية، لم نشاهد علما فلسطينيا واحدا في ايدي المتظاهرين العراقيين، ومعظمهم من الاخوة الشيعة، كما لم نشاهد عبارة تأييد واحدة للمقاومة الفلسطينية.

لعل هذه المقاومة الصلبة لحزب الله في مواجهة العدوان الاسرائيلي على لبنان التي تتم باسم الامتين العربية والاسلامية تعيد بعض الحكمة والعقل لبعض الاشقاء في العراق الذين انحرفت بهم نزعاتهم الطائفية عن رؤية الصواب، واختاروا ان يبتعدوا عن القضايا التي توحد الامة، وتمسكوا بتلك التي تعمل على تمزيقها واضعافها.

المقاومة وإمكانية سقوط الشرعية الصهيونية المعروفة بالشرعية الدولية

المحور السعودي ـ المصري ـ الأردني يقضي على بقايا النظام الرسمي العربي

محمد عبدالحكم دياب *

■ يصادف غدا، الأحد، الذكرى الرابعة والخمسين لثورة 23 تموز (يوليو) 1952 التي قادها الراحل العظيم جمال عبد الناصر، وكانت مصر قد تحولت مصر طوال مدة حكمه إلى قاعدة للاستقلال ومقاومة الاستعمار والاحتلال والاستيطان والعنصرية، في المنطقة العربية وخارجها، وفي هذه الذكرى نجد أن مصر تئن من وطأة دور فرض عليها لتكون قاعدة للتواطؤ ومعاداة قوى التحرر والمقاومة، ولتصبح رديفا للنشاط الاستعماري والاستيطاني والعنصري، وكانت بعد أن احتلت موقعها، بجدارة، في قيادة حركة التحرر العالمية، وبعد أن تبوأت مكانتها في صدارة قوى الوحدة والتكتل والتضامن، وواجهت بسبب ذلك كل صنوف الضغط والحصار والحرب، إلا أنها لم تتراجع، إلى أن جاء من تخلى عن هذا الدور، وأضاع ذلك الرصيد المشرف، وانتقل بها إلى موقع معاكس لكل الطموحات الوطنية، والمناهض لكل التطلعات القومية، والمعادي لكل التوجهات التحررية والإنسانية، وحشد إمكانياتها السياسية والمادية لتضاف إلى المجهود السياسي والعسكري والاستراتيجي الأمريكي والصهيوني.

وكان طبيعيا، والوضع كذلك، أن يبادر حسني مبارك بإدانة المقاومة، في ظروف يحتاج فيها إلى تجديد أوراق اعتماده، تصورا منه أن بقاءه ضمن محور الخذلان العربي والإسلامي يضمن له الاستمرار، ثم نقل السلطة إلى ابنه، وجاءت تصريحات المسؤول الرسمي السعودي، الذي أدان المقاومة وحزب الله، تشجيعا لحسني مبارك للسير على نفس الخطى، وانضم إليه عبد الله الثاني ملك الأردن، في رسالة واضحة تقول بأن محور الخذلان العربي يتوهم أنه ما زال قادرا على لعب دوره في خدمة التوسع الصهيوني، ولا يملك قدرة التخلي عن وظيفته، التي نذر نفسه لها، وأنه على استعداد لتوفير الغطاء الرسمي العربي، المطلوب للعمليات العسكرية والعدوانية ضد المقاومة، وضد الشعب اللبناني، وضد سورية إذا ما تم الغدر بها.

وهذا المحور يمثل الآن رأس الحربة المهيأة لطعن الأمة، التي أعلنت التفافها حول المقاومة، ومناصرة حزب الله، وهو ما جعل حسني مبارك يندفع في اتجاه «الحوار الاستراتيجي» مع الإدارة الأمريكية. فبعث بوزير خارجيته على رأس وفد إلى واشنطن، بدل أن يكلفه بالاتجاه نحو لبنان، في ظروفه الصعبة، ومعنى «الحوار الاستراتيجي»، هو وضع إمكانيات مصر رهن التعليمات الامريكية، التي تستهدف القضاء على المقاومة، بدعوى «دراسة الوضع المتدهور في لبنان وفلسطين وطرق استعادة الهدوء في المنطقة»، وحوار من هذا النوع لا يتطرق، من قريب أو بعيد، إلى جرائم الاحتلال الصهيوني، ولا إلى المطالب العربية في التخلص منه، وهي مطالب تكفلها نصوص القانون الدولي، ومثل هذا التصرف طبيعي ممن يقبل أن يكون ضمن محور الخذلان العربي، فالهلع الذي أصاب الدولة الصهيونية والمنظومة الصهيو غربية، المؤيدة لها، أصاب المحور السعودي المصري الأردني بهلع أكبر، لأنه على قناعة بأن بقاءه واستمراره يتوقف على مدى التزامه بحماية الدولة الصهيونية والعمل في خدمتها، وهذا المحور هو المحور الأنشط في إضفاء شرعية مزيفة على الاستيطان الصهيوني، وهو الأكثر تفانيا في دعم الهيمنة الصهيونية، الضابطة لقرارات مجلس الأمن الدولي، وحولته، بمقتضى ذلك، من منظمة للسلام العالمي إلى هيئة خاصة، تحرض على العدوان، وتعاقب الدول «المارقة»، إذا لم تستجب للدخول إلى «بيت الطاعة» الصهيو غربي، وهذا أضفى على «الشرعية الدولية» طابعا صهيونيا عنصريا، وحوله من مجلس للأمن إلى مجلس للحرب والغزو والعدوان. ومن أجل إضفاء مصداقية كاذبة على هذه «الشرعية الدولية» كان لا بد للمحور السعودي المصري الأردني، وامتداداته، مشرقا ومغربا، من أن يدين المقاومة، ويرى فيما قام به حزب الله غرما لا غنما، وخطرا حقيقيا على دوره ووظيفته ووجوده.

والسعودية وهي ترى استثماراتها تحترق في بيروت وفي المدن اللبنانية الأخرى، كانت قد أنجزت على الأرض، بفعل دورها «الاستثماري» ما هو أهم بكثير.. استطاعت أن توظف نفوذها المالي والمذهبي لفرض واقع سياسي ومادي مغاير لسابقه، وتمكنت من انتزاع قطاعات، لا يستهان بها، من أبناء الطائفة السنية، التي كانت قاعدة العروبة والعمل الوطني، وكانت قوة فاعله بين القوى الساعية إلى تأكيد هوية لبنان واستقلاله، وبعد أن كانت هذه القطاعات منحازة إلى من يسعون ويؤكدون على عروبة لبنان، ووحدة أراضيه، والمساراة بين مواطنيه، انتقلت إلى المعسكر الانعزالي، وبعد أن كان قاصرا على ما عرف بـ«المارونية السياسية» اتسعت دائرته، وزاد حجم ونطاق «المارونية السياسية» لتضم قطاعات سنية لا يستهان بها، وهذا أضعف التأثير الوطني والعروبي اللبناني، وكان هذا هو أخطر تحولات الدور السعودي في لبنان.

وإذا كانت السياسة السعودية قد بدأت واستمرت في خدمة السياسة الأمريكية، بما توفر من حماية للدولة الصهيونية، فإن حسني مبارك خطا خطوات أبعد، بعلاقته المباشرة مع مسؤولي الدولة الصهيونية، وفي السنوات الأخيرة حول منتجع شرم الشيخ إلى عاصمة للعمل المشترك بينه وبين قادة العمل الصهيوني، وبالتعاون المباشر بينه وبين المسؤولين الصهاينة تمكن من الإجهاز على فرص إحياء العمل العربي المشترك، وشاطره هذه المهمة وتحمس لها، عبد الله الثاني ملك الأردن، ودخلا في منافسة على كسب الود الصهيوني. وهذا المحور بإخلاصه للعمل في هذا المجال، يمارس العكس تماما مع الشأن العربي أو الإسلامي، ولو لم يتفان في دوره ومهمته لكان الوضع غير الوضع والواقع غير الواقع.

وأن تأتي المقاومة الإسلامية في لبنان، ويبادر حزب الله إلى توجيه ضربات موجعة إلى الدولة الصهيونية، وينال الشيخ حسن نصر الله هذا التأييد الواسع، فإن هذا بدوره بدا موجعة لأطراف هذا المحور وامتداداته، في داخل وخارج لبنان، وكان عليهم أن يبادروا بالإدانة أولا، ثم التحريض على المقاومة ثانيا، فهم لا يملكون أن يغيروا من طبيعتهم، ولا طاقة لهم على فهم التحولات التي تحيط بهم من كل جانب، فمصالحهم وعلاقاتهم وتبعيتهم، كل هذا يحول بينهم وبين مناصرة القضايا العادلة، سواء على المستوى العربي والإسلامي أو المستوى الإنساني، ومن جهة أخرى فإن ذعرهم لانتعاش المقاومة وانتشار ثقافتها، عكس نفسه في صورة هزيمة نفسية قاسية، بعد أن استقرت في نفوسهم وأذهانهم قناعة تقول بأن قوة المنظومة الصهيو غربية لا تقهر، ولم تعن لهم دلالات ما يجري في العراق وفلسطين ولبنان وأفغانستان شيئا من أجل تغيير هذه القناعة.

وكما رفعت ضربات المقاومة الروح المعنوية بين عموم العرب والمسلمين، وأعادت الثقة في النفس بين صفوف القوى الرافضة للاحتلال والاستيطان والتمييز العنصري، وكما فعلت هذا كان لها تأثير عكسي على أطراف هذا المحور، ومثلت مأزقا ليس له فقط بل لمجمل النظام العربي، الذي أخذ يترنح مع أول صاروخ كاتيوشا أطلقه حزب الله في اتجاه الدولة الصهيونية، وجاءت ثورة الصحافيين والمراسلين، في المؤتمر الصحافي في أعقاب اجتماع المجلس الوزاري لجامعة الدول العربية، جاءت هذه الثورة على الأمين العام للجامعة، وعلى رئيس الاجتماع الطارئ للمجلس الوزاري، جاءت تعكس حالة الغليان والمشاعر السلبية تجاه النظام الرسمي العربي. وركب عمرو موسى الموجة وأعلن عن موت «عملية السلام» بعد تسليم ملفها للدولة الصهيونية، وأن الحل، في نظره، في توجه جماعي عربي يعيد القضية إلى مجلس الأمن، ونسي، أن مجلس الأمن لا يمكنه، في وضعه الراهن إلا أن يكون مع إعطاء أكبر وقت ممكن، متيحا الفرصة للمؤسسة العسكرية الصهيونية، على أمل أن تنجز مهمتها في لبنان على النحو الذي تريده، وهو يتبنى نهج الحرب ضد ما يسمى بـ«الإرهاب»، وقد حصر الإرهاب في منظمات المقاومة، وحزب الله واحد من هذه المنظمات، مثله مثل حماس وباقي منظمات المقاومة في العالم بأسره. وليست مبادرة حسني مبارك خارج سياق دوره ووظيفته، لأنه نذر نفسه لهذا الدور وتلك الوظيفة، وإلا ما كان قد ارسل قوات حرس الحدود المصرية، باتفاق مع المسؤولين الصهاينة، إلى الحدود الفلسطينية، كجزء من مخطط إحكام الحصار والتجويع على الفلسطينيين، ولن يختلف موقفه مع اللبنانيين، ومع قوى المقاومة فيه، وبعد أن عاد وفده من واشنطن ينتظر كوندوليزا رايس، التي تصل غدا، الأحد، إلى المنطقة، لحشد النظام الرسمي العربي لنصرة الدولة الصهيونية من أجل فرض واقع جديد على المقاومة، ويتطلع لمعرفة دوره في العملية القادمة لتصفية ما بدأ يعرف بـ«هلال المقاومة».

ورهان قوى المقاومة والتحرير ومؤيديهم هو على الغباء السياسي المعهود لدى المنظومة الصهيو ـ غربية وامتدادها العربي، فمن المتوقع أن تكرر خطأها الذي ارتكبته في العراق، وسبق أن ارتكبته في لبنان ومواقع أخرى، ولا ترى ما جرى على حقيقته، فالمقاومة ما زالت على قوائم التصفية، إلا أنها الطريق الوحيد لإعادة الحقوق المغتصبة وتحرير الأرض. وهدف تصفيتها، كما يأمل المحور السعودي ـ المصري ـ الأردني وامتداداته، يبدو صعبا إن لم يكن مستحيلا، فقد أثبتت قدرتها على المنازلة، وأخذت المبادرة بيدها، وأصبحت لا تتحرك برد الفعل، وتمكنت من نقل الحرب، لأول مرة، إلى عمق الدولة الصهيونية، واستطاعت أن توجه ضرباتها إلى أكثر المواقع أمنا وتحصينا داخلها، والأهم أنها سحبت المشروعية من النظام العربي الرسمي، فتحررت من قيوده وعبئه، وضغط الأضرار التي تلحقها بها معادلاته المختلة، فضلا عن الانقلاب الذي أحدثته في المعادلة اللبنانية والإقليمية والدولية، التي كانت مضبوطة على الإيقاع الصهيوني، ولا يبقى إلا الرهان على وحدة الشعب في لبنان، وعلى الحشد والتجييش الذي نتابعه ونراه، من أجل تقديم العون المادي والبشري للشعب اللبناني العظيم ومقاومته الباسلة، وقد شاهدت جانبا مما يقوم به المصريون على هذا الصعيد، رغم قيود الأمن ومنعه لهم، وقد يكون هذا موضوع الأسبوع القادم بإذن الله.

* كاتب من مصر يقيم في لندن

اتهام المقاومة في فلسطين والعراق ولبنان بالارهاب مهزلة العصر

هيفاء زنكنة *

■ فلندع سفسطة تقاطع المصالح مع امريكا وتغير السياسة الامريكية تجاه الشرق الاوسط بعد الحادي عشر من ايلول (سبتمبر)، تتهاوى مع أوهام البعض في ان تساعد امريكا دول المنطقة على بناء الديمقراطية والمجتمع المدني واستتباب الامان والسلام. فبعد تجويع الشعب الفلسطيني ومعاقبته عسكريا واقتصاديا ومنع الماء والدواء والطعام في الشهور الاخيرة لانه انتخب، ديمقراطيا، من يريد انتخابه وليس من تريد امريكا والكيان الصهيوني فرضه، وبعد ان داهم البرابرة باسلحتهم وعتادهم لبنان وهدموا المدن والقرى والمستشفيات والمدارس وقتلوا الاطفال والنساء وحاصروا الشعب في طعامه واساسيات حياته، واستخدموا كما في العراق كل مختلف الاسلحة المحرمة دوليا، هل هناك من يساوره الشك في ان السياسة الامبريالية لامريكا وكيانها الصهيوني هي ذاتها لم تتغير اطلاقا؟

انها السياسة التي حاربناها، كشعوب، على مدى عقود لانها تستند في جوهرها الى التوسع والهيمنة واستلاب الارادة مهما غلفت طبيعتها القبيحة باقنعة تجميل الادوار والمصطلحات الجديدة وتزويقها ببهارات الديمقراطية وحقوق الانسان وبناء المجتمع المدني. وهي السياسة التي لا ترى في فلسطين والعراق ولبنان شعوبا بل موانع تعيق توسعها وامتدادها لذلك ترى ان من حقها الطبيعي للدفاع عن مصالحها اما ان تخضعها لارادتها او تبيدها. وابادتها هو ما يجري الآن على ارض الواقع.

ان وجه امريكا، اذا اخترنا الا ننطرق الى مآسي الشعوب في جميع انحاء العالم من سكان امريكا الاصليين الى امريكا اللاتينية، لم يتغير مهما تبدلت اقنعتها التي يروج لها محليا من قبل عملائها من ملوك وحكام الى صغار المتعاقدين. فقبل تدمير لبنان، كان غزو العراق. وقبل غزو العراق كان تبني امريكا المطلق لكيان الاحتلال الصهيوني لفلسطين.

مشاهد القتل والخراب في جنين ورام الله وغزة والمذابح في المخيمات الفلسطينية، تكررت اثناء غزو العراق وتتكرر اثناء احتلاله. وها هي نفسها تتكرر في لبنان. تخريب البنية التحتية، تهديم الجسور والمستشفيات والمدارس وطرق الاتصالات واستخدام انواع الاسلحة المحرمة دوليا، هي ذاتها التي شهدناها في حملة الصدمة والترويع في عام 2003 وهي ذاتها المستمرة في معظم المدن العراقية منذ ما يقارب الاربعة أعوام. التخريب المتعمد المنظم وليس البناء والاعمار حسب ادعاء مروجي الغزو الامريكي. يستهدف تهديم الصحة والتعليم واساسيات تكوين المواطن ونموه وتطوره تحت ذرائع مختلفة.

في فلسطين يتم التخريب لان الشعب الفلسطيني تجرأ فانتخب من تعتبره امريكا والكيان الصهيوني (منظمة ارهابية). في العراق لان امريكا والكيان الصهيوني اختلقوا اكذوبة اسلحة الدمار الشامل (الارهابية) التي ستستهدف سلامة امريكا وبريطانيا خلال 45 دقيقة! وفي لبنان رأينا مسح القرى والمدن بذريعة وجود منظمة (ارهابية) اختطفت جنديين صهيونيين!

فما هي الحدود التي سيتوقف عندها الغزو الامريكي ـ الصهيوني للعالم؟ ما هي حدود توسع الامبراطورية ومتى سينطفئ لهيب جشعها في الهيمنة العسكرية وسلبها لموارد الشعوب؟

فلنتوقف في العراق لانه المحطة الاساسية في الطريق ما بين فلسطين ولبنان وبقية الدول التي سيطأها الهجوم قريبا بحجة محاربة الارهاب. قيل للعالم أجمع بان العراق سيكون منارا للديمقراطية واحترام حقوق الانسان بعد (تحريره) . وها هو العراق مبتلى بمصيبتين: بقوات الاحتلال العسكرية التي تعيث في الارض فسادا واغتصابا وقتلا وتتمتع بالحصانة من العقاب وبحكومة عميلة محجورة في زاوية محاطة باسيجة كونكريتية تماثل في ارتفاعها وسمكها جدار العنصرية الصهيوني. حكومة تتحدث لغة المحتل وتدافع عن مصالحه. مهمتها الاولى والاخيرة هي تكرار صوت السيد في الدفاع عن سلامة المواطن الامريكي ضد الارهاب، بينما وصل عدد ضحايا الغزو الامريكي وما ترتب على وجوده من انواع الارهاب المحلي والمستورد المئتي شهيد يوميا.

ماذا عن الوطنية والدفاع عن الوطن؟ بالنسبة الى امريكا والصهيونية والمتعاونين معهما، هذه مشاعر طبيعية وحق من حقوق الشعب الامريكي والصهيوني وواجب يستحق ان يقتل من اجله آخر عراقي وفلسطيني ولبناني. الا انها سرعان ما تصبح، حالما يبدأ احد مواطنينا بالدفاع عنها، اتهاما بالفاشية والتخلف والقومجية.

ماذا عن الديمقراطية وحقوق الانسان ومنظمات المجتمع المدني وبضمنها النسوية؟ هذه ايضا مثل الوطنية موجودة في امريكا أكثر من غيرها وينشط بعضها في العراق، نموذجا، مستندا الى المنح والدعم المادي الامريكي ولكن بشرط اساسي واحد وهو الا تحيد هذه المنظمات ومشاريعها في كل المجالات عن صراط السياسة الامريكية المستقيم في العراق. الخطوط الحمراء لهذا الصراط هي: الا يقاوم الاحتلال والا يذكر الاحتلال بسوء والتخلص ممن يناهض الاحتلال. مفهوم؟ كلا؟ في هذه الحالة ستصبح مؤهلا للاتهام بانك ارهابي تكفيري من حزب الله ومدعوم من محور الشر الايراني السوري وربما الكوري في آن واحد!

مع كل هذه الضغوط على كافة الاصعدة سياسيا وعسكريا واقتصاديا هل نجح المشروع الامريكي الصهيوني في العراق ليتم تطبيقه في بقية الدول العربية والاسلامية ومنها لبنان وسورية وايران ولن اقول فلسطين المحتلة اذ لولا فشل المشروع فيها لتحقيق الامان للكيان الصهيوني لما كان هناك مشروع امريكي صهيوني جديد؟

لقد اثبت الشعب العراقي وهو من لم يحسب حسابه بل ومسح من الوجود اثناء التخطيط الورقي للاحتلال في مؤتمرات وورشات الادارة الامريكية مع عملائها في لندن وواشنطن، اثبت بانه موجود بتاريخه وحضارته واعتزازه بهويته ورفضه للاحتلال وقدرته على محاربة اكبر قوة عسكرية في العالم بوجهيها الصهيوني ـ الامريكي. ان المقاومة العراقية الباسلة المستهدفة لقوات الاحتلال ومنشآته العسكرية ودورياته ونقاط تفتيشه وسجونه ما كان لها ان تستمر وتنمو لولا دعم الشعب العراقي لها. اذ ازداد عدد العمليات العسكرية المستهدفة للاحتلال في الشهور الاخيرة حسب تقرير مؤسسة بروكنز الامريكية وبلغ معدلها 80 عملية في شهر ايار (مايو) من العام الحالي. وادت عمليات المقاومة الى قتل 2556 جنديا امريكيا و113 بريطانيا وجرح 18 ألفا و 696 جنديا معظمهم سيبقى مقعدا بشكل دائم . بالاضافة الى قتل 340 متعاقدا اجنبيا عسكريا خاصا اي المرتزقة البالغ عددهم رسميا 20 ألفا.

ان من حق الشعب العراقي والفلسطيني واللبناني واي شعب آخر في العالم مقاومة الاحتلال والعدوان على سيادته بكل الاساليب المتوفرة لديه وبضمنها المقاومة المسلحة. هذه الشعوب، وعلى الرغم من حملات التمويه والتضليل السياسي والاعلامي المحاطة بها، خاصة من قبل المتعاونين مع الغزاة، تدرك وبحسها الفطري العميق ان جوهر الاحتلال هو العنصرية وسلب الكرامة وان اتهامها بالارهاب هو مهزلة لا تماثلها مهزلة.

ان الجيش الامريكي يدافع عن أمن المواطن الامريكي وسلامته ويحافظ على أمن وسلامة الصهيوني في كل دول العالم ولديه قانون يسمى بقانون الوطنية وقانون آخر يرعب كل من يحاول لفظ حرف واحد ضد اليهود لاتهامه بمعاداة السامية، فلماذا لا يحق لنا الدفاع عن وجودنا وبلداننا وسيادتها وحدودها ازاء كل انواع العدوان والاحتلال الذي نتعرض له؟ لماذا يحق للامريكي والصهيوني ما لا يحق لنا؟

ان فعل مقاومة الاحتلال والعدوان سيؤدي، عند استمراره ونجاحه، لا الى استعادة الاراضي المحتلة والحرية والكرامة فحسب بل وستؤدي الى اسقاط الهياكل الهزيلة المسماة بالحكومات العربية المتحالفة مع سادة الامبراطورية الامريكية الصهيونية في قمع مواطنيها واذلالهم. لذلك نرى الحاكم العبد متحمسا في ادانته للمقاومة حرصا على سلامته وادامة لبقائه. ان المقاومة الوطنية في فلسطين والعراق ولبنان هي مقاومة الانسان المدافع عن انسانيته، الصوت الصارخ على الرغم من كل محاولات الغرغرة بمال الامبراطور ومغرياته، الصامد ضد تفتيت القضايا والشعوب، المقاتل من اجل الحفاظ على وطنه ووحدة وطنه ضد سياسة تقسيم كل عرق الى غيتو وكل دين الى غيتو وكل شعب الى غيتو وعزل كل واحد منهما عن الآخر في خنادق محفورة خصيصا بمواصفات طائفية وعرقية وجنسوية.

ان القضية الفلسطينية ومحاصرة الشعب الفلسطيني وتجويعه والهجوم البربري الكاسح على لبنان هو هجوم على الشعب العراقي، وان مقاومة الشعب العراقي هي مقاومة الشعبين الفلسطيني واللبناني لاننا تربينا على الايمان بحقائق اخلاقية بسيطة وهي ان الاحتلال جريمة وان قتل الابرياء جريمة وان السلام بلا عدالة هو محض افتراء.

ان تحقيق العدالة هو جزء من مسؤوليتنا الانسانية والثقافية والحضارية، وان الارهاب سيسود حقا يوم ننكر على الناس حق المقاومة. ويصبح عالمنا هو الغابة بعينها ليس لان القوانين والتشريعات غير موجودة ولكن لانها موجودة وتطبق لصالح دولة او فئة دون غيرها، بينما يصمت العالم مراقبا بلا مقاومة.

* كاتبة من العراق

بدون اشارات تعجب: أين وزراء الدفاع العرب؟

حكم البابا

■ بعد يومين (24 تموز) تمر ذكرى معركة ميسلون التي خاضها بقايا الجيش السوري في عشرينيات القرن الماضي، بقيادة وزير دفاعه آنذاك يوسف العظمة، ضد الجيش الفرنسي القادم لاحتلال سورية، لا أريد أن أتحدث اليوم ـ مع أنه بإمكاني ذلك ـ عن بطولة الجيش السوري أو بقاياه التي خرجت وهي على وعي كامل بأنها ستخسر المعركة، وكان هدفها الوحيد من خوض معركة ميسلون، أن لايقال بأن الفرنسيين دخلوا دمشق بدون قتال، وبالتأكيد ليس هدفي استلهام الماضي لقراءة أحداث الحاضر، وتقديم وسيلة ايضاح لحلفاء حزب الله وملهميه (بفتح الهاء) ومؤيديه وغالبية الشارع العربي الذي يبحث في كتب التاريخ وفي أطالس الجغرافيا، عن مبررات وقصص وأمثلة تقوي حجته في معركته غير المتكافئة مع العدو الاسرائيلي، وبالتالي قد يصنع من أية هزيمة ـ لا أتمناها وإن كنت مرعوباً منها ـ نصراً على عادة العرب، ويضيف إلى كتب التاريخ أبطالاً وشهداءً أفرداً، تعزيه وتطيب خاطره في هزائمه الجماعية.

ولا أريد أيضاً أن أتحدث ـ مع أنه بإمكاني ذلك أيضاً ـ عن انتحارية معركة ميسلون ولاجدواها والتي استشهد فيها يوسف العظمة، ودخل بعدها الجنرال غورو دمشق منتصراً، ولم يبق من يوسف العظمة وميسلونه إلا عدة أسطر في كتب التاريخ، وصورة وحيدة عتيقة محايدة ليوسف العظمة، وعيداً متواضعاً يحتفل به سنوياً على مضض، فأقوى حجة من يعترضون على حرب حزب الله مع اسرائيل، ويحملونه مسؤولية الدمار الذي حل بلبنان كله، باعتباره الذي أشعل الحرب وورط الآخرين بها، ولم يشاركهم في قرارها، بل شاركهم في نتائجها، وسيضن عليهم بالمشاركة في انتصاراتها.

ما أريد تذكره من معركة ميسلون التي وصفتها محافظة مدينة دمشق بالانتحارية، في اللوحة التي وضعتها على أحد جدران الساحة التي تحمل اسمها بدمشق، (سبق لي أن خضت من أجلها معركة مع المحافظة على جريدة «تشرين» السورية بتاريخ 2003/9/11)، ما أريد تذكره هو وزير الحربية السوري يوسف العظمة الذي كان ربما أول وآخر وزير دفاع عربي في تاريخ العرب الحديث، يلم بقايا جيشه ويقوده بنفسه ليخوض معركة مع عدو يهددها ويستشهد من أجلها، وربما لهذا السبب بالذات لم يتجرأ أي وزير دفاع عربي بعد يوسف العظمة على الاجتماع بجيشه إلا في المشاريع العسكرية التي لا يستعمل فيها إلا الرصاص الخلبي، والاحتفالات الحزبية لنقل تحيات القيادة لها، وصار يفضل صورته في استقبال ووداع زملائه من وزراء الدفاع العرب والأجانب، بدلاً من استعراض الأسرى الذين غنمهم جيشه من جنود العدو، ووضع أكاليل الزهور على أضرحة الشهداء في أعياد الجيش والشهداء والمناسبات الوطنية التي لا تعد ولا تحصى لدى العرب، على أن يكون شهيداً توضع الأكاليل على ضريحه، وشاشة التلفزيون على خنادق الجبهات، وغرف العمليات المكيفة على حر خطوط القتال، هذا اذا بقيت لدى العرب خطوط قتال!

لا أنكر بأن الحروب تغيرت، وصارت تدار بالريموت كونترول بدلاً من ساحات المعارك، ولكن وزراء الدفاع العرب تغيروا أيضاً، وإذا كان هناك درس تعلموه من زميلهم (لا أصدق أنه زميلهم فعلاً) البطل يوسف العظمة، فهو أن لايفعلوا فعله، فاهتموا بقرض الشعر في الحسناوات، بدلاً من أن يقودوا جيوشهم، وتأليف موسوعات عن الزهور، بدلاً من أن يموتوا دفاعاً عن أوطانهم، وجمع الأقوال المأثورة لقادتهم وكتابة لها المقدمات، بدلاً من ان يهيئوا الخطط العسكرية، والآية الوحيدة التي صاروا يؤمنون بها في القرآن الكريم هي «ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة»، وأصبحت النهاية المفضلة بالنسبة لهم، هي تلك التي كرهها خالد بن الوليد عندما شبه موته على فراشه بموت البعير، ولم يمر وزير دفاع عربي بعد يوسف العظمة إلا وفي تاريخه هزيمة وعار لم يمحهما بدمه، وقد وصل بهم حس الحرص الشديد على الحياة (الذين تعلموه من مأثرة يوسف العظمة في معركة ميسلون معكوساً) إلى حد توكيل زملائهم من وزراء الإعلام والخارجية بالرد على تصريحات أعدائهم المهددة لأوطانهم.

قبل سنوات كنت أعد برنامجاً للفنان دريد لحام، وكتبت عن أكثر عشر مهن راحة في العالم العربي، ووقتها وجدت أن أول وأكثر المهن راحة هي مهنة وزير الدفاع العربي، واليوم أضيف بأنني أظن أن أغلب إن لم أقل كل وزراء الدفاع العرب، يفضلون الممثل الكوميدي السوري ياسر العظمة، على ابن عائلته وسمي كنيته وزير الحربية البطل يوسف العظمة، فهم أقرب شبهاً إلى الكوميديا منهم إلى الدفاع أو الحرب.

القدس العربي
يومية سياسية مستقلة
تطبع في لندن ونيويورك وفرانكفورت وتوزع في جميع انحاء العالم
الاشتراكات:
الاشتراك السنوي 450 جنيها استرلينيا في عموم بريطانيا و 750 دولارا امريكيا للوطن العربي وخارج بريطانيا بما في ذلك اجور البريد.

الناشر:
مؤسسة القدس العربي للنشر والاعلان

رئيس التحرير:
عبد الباري عطوان

المقر الرئيسي (لندن): 164/166 كنج ستريت، همرسميث، لندن دبليو 6 او كيو يو
هاتف: 8008 741 ـ 0208 (6 خطوط) ـ
فاكس: 8902 741 ـ 0208 أو 7637 748 ـ 0208
مكتب القاهرة: 43 أ شارع قصر النيل ـ الدور الاول ـ شقة رقم (2). هاتف/فاكس: 3901523(202)
مكتب المغرب: 80 شارع فال ولد عمير شقة 7 الطابق الرابع ـ الرباط. هاتف/ فاكس: 770594(212 37)
مكتب عمان: شارع الصحافة مجمع البداد التجاري الطابق الرابع.
هاتف/فاكس: 5066089 (9626)
مكتب باريس: هاتف ـ فاكس: 57364 420 (331)

Al-Quds Al-Arabi
daily Independent News Paper
Published In London, New York and Frankfurt by Al Quds Al- Arabi Publishing LTD
Circulated in Europe, Middle East, North Africa and North America.
Editor In Chief
ABDEL BARRI ATWAN

Head Office (London): 164-166 King Street, Hammersmith, London W6 0QU England
Tel: 0208-741 8008 (6 Lines) Fax: 0208-741 8902 / 748 7637
email: alquds@alquds.co.uk * Internet: www.alquds.co.uk
Cairo Office: 43 a Kasser Al Neel St, First Floor, Flat No (2).
Tel/Fax: (202) 3901523
Morocco Office: 80 Fal Ould Omeir Str. Flat No.7 - Rabat - Morocco
Tel/Fax: (212 37) 770594
Amman Office: Al Sahafa St. Badad Business Complex.
Tel/Fax: (9626) 5066089
Paris Office: Tel / Fax: (331) 420 57364